مجلة العلوم الإنسانية — المجلد 34-عدد 2 - جوان 2023، ص.ص.507 - 525

الزمكانيّة في القصة الثالثة والعشرين لكاتبها أمير المانع

The space and the time in XXIII of Ameer almaneh

تاريخ الاستلام : 2022/12/11 ؛ تاريخ القبول : 2023/03/06

ملخص

درس هذا البحث الزمكانيّة في قصص"الثالثة والعشرون"؛ وتكمن أهميّة المكان في أنّه ظرف للأحداث، أمكنة هندسها المانع واختار لها أزمنة تتلاءم معها لتكوّنا قصّة تعبّر عن رؤيته.وفي توظيفه الأمكنة المختلفة:المفتوحة والمغلقة، المرتفعة والمنخفضة، المتحرّكة والساكنة؛ الطبيعيّة والنفسيّة والسريعة والبطيئة، رسم للقارئ صورة من الحرمان الذي يعاني منه ساكنو هذه الأمكنة في أزمنتهم المختلفة. وتوصّل البحث إلى أنّ معظم الأمكنة التي استخدمها الكاتب جاءت معبّرة عن الفقر والحرمان؛ وبعضها بدأت صغيرة وساكنة، ثمّ نمت وتحرّكت، وقد استُخدم مكان مشفّر يواكب القصّة المعاصرة، كما أنّ البحث أوّلَ بعض الأزمنة والأمكنة. وطغى عنصر المكان في أغلب القصص على عنصرالزمان.

الكلمات المفتاحية: الزمان، المكان، أمير المانع، القصة.

* نعيم عموري

عبد السعيد مقدم

جامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران.

Abstract

We studied time-place in the "twenty-third" stories; The importance of the place lies in the fact that it is a circumstance for the events, And in his employment of different places,drawing a picture of the deprivation suffered by the inhabitants of these places in their different times.Our studied concluded that most of the places used by the writer express poverty and deprivation; Some of them started small and static, then grew and moved, and an encrypted place keep pace with the contemporary story, In most stories, the element of place prevailed over the element of time.

Keywords: time; space; ameer; stories.

Résumé

Nous avons étudié le temps-lieu dans les « vingt-troisième » histoires ; L'importance du lieu réside dans le fait qu'il est une circonstance pour les événements, et dans son emploi de différents lieux, dressant un tableau de la privation subie par les habitants de ces lieux à leurs différentes époques. Notre étude a conclu que la plupart des les lieux utilisés par l'écrivain expriment la pauvreté et la privation ; Certains d'entre eux ont commencé petits et statiques, puis ont grandi et se sont déplacés, et un lieu crypté suit le rythme de l'histoire contemporaine. Dans la plupart des histoires, l'élément de lieu a prévalu sur l'élément de temps.

Mots clés: temps ; espace; amer ; histoires.

* Corresponding author, e-mail: n.amouri@scu.ac.ir

© جامعة الاخوة منتوري قسنطينة 1، الجزائر 2023.

1. مقدمة:

كان في القدم المكان مجزأ عن الزمان، فهو ذو ثلاثة أبعاد: طول وعرض وارتفاع. ثمّ أضيف بُعد الزمن لهذه الأبعاد لتصبح أربعة، أطلقوا عليها اسم (الزمكانيّة). لقد حظي المكان والزمان باهتمام واسع في النقد الأدبي باعتبارهما عنصران مهمّان في الروايات والقصص.

تكمن أهميّة المكان في أنّه ظرف للحدث، وفيه تتحرّك الشخصيّة؛ وقد يختار الكاتب مكانا حقيقيّا في نصوصه يتلاءم مع الحدث، وليقرّب القارئ إلى الحقيقة. وإنّ المكان يُعرّف الشخصّية التي تسكنه، يكشف مستواها الثقافي والاقتصادي والاجتماعي.

وفي الأحياء الراقية التي يسكنها الأثرياء، يتطوّر المكان بمرور الزمن وينمو مثلما تنمو الشخصيّات؛ بينما في الأماكن المتواضعة التي يسكنها الفقراء، يتراجع المكان إلى الوراء وينخفض؛ ولأنّ الأمكنة ترتبط ببعضها، فقد يؤدّي تراجعُ مكان إلى تضاؤل مكان آخر وزواله.

ولكن ما الذي يربط الطبقة الفقيرة بالأمكنة المتواضعة، ما الذي يمنعهم من الهجرة من الأحياء التي تزيدهم فقرا عاما بعد عام؟

الجواب هو: لهذه الأمكنة جاذبيّة تجعل الشخصيّة تتحمّل العناء، والفقر، والتهميش ولا تهاجر. هذه الجاذبيّة التي قد يطلق عليها البعض تسميّات مختلفة مثل الانتماء للوطن والأرض وما شابهها، فتراها تتفاعل مع هذه الأمكنة وترتاح لها. إذن المكان يرتبط ارتباطا وثيقا بالشخصيّات، خاصّة إذا كان هذا المكان مكانا حقيقيّا، اختاره الكاتب ليقرّب قصصه إلى الواقعيّة.

وللأمكنة وظائف ورموز، فالمكان المرتفع يرمز إلى الشموخ، والمنخفض إلى الانحطاط، والبيوت ترمز إلى الألفة والسكينة، والمكان المتأرجح يرمز إلى عدم الاستقرار والاضطراب ..

للمكان علاقة وطيدة بالزمن، حركة الزمن قد تجعل المكان ينمو أو أن يتراجع. والزمن نوعان، الزمن الطبيعي والزمن القصصي، الزمن الطبيعي نعرفه ونحسّ بمروره، وهو الذي تتوالى لحظاته وساعاته وأيّامه ... كلّ ساعة تلي الساعة التي قبلها، وكلّ يوم يأتي بعد أن ينقضي اليوم الذي قبله... ولكنّ الزمن القصصي قد يرجع لتسترجع فيه الشخصيّة الذكريات، وقد يسافر إلى المستقبل لتبني فيه الشخصيّة الآمال. وله علاقة بالزمن النفسي الذي لا تتساوى فيه لحظة مع لحظة أخرى، فقد يواجه الإنسان لحظات خاوية في حياته تجعل حياته مملّة، وهناك لحظات مشرقة تجعله فرِحًا منتشيًا.

فهذه الأزمنة تساعدنا لنتعرّف على خصائص الشخصيّة وما الذي يكدّر عيشها، وما الذي يسعدها.

كلّ هذا ندركه من خلال وعينا، ندرك آثاره فنحسّ به، وإلّا كيف نفهم الزمن وهو لا يُدرك بالحواس الخمس؟!

وللأزمنة دلالاتها أيضا، فالزمن الذي يمرّ بطيئا، يدلّ على حدث غير مرغوب به،

واللحظات التي تمرّ مسرعة، تدلّ على أحداث سعيدة.

أسئلة البحث:

1- ما هي الزمكانيّة ودلالاتها في القصص والروايات؟
2- كيف يستخدم الكاتب الزمان والمكان باعتبارهما عنصران مهمّان في قصصه؟
3- ما هو الاسترجاع في الزمن وأثره في قصص أمير المانع؟
4- كيف تمّ توظيف الأمكنة بمختلف أشكالها لتعبّر عن الحرمان؟

فرضيات البحث

- الزمكانيّة تعني الزمان والمكان في القصص والروايات، وتدلّ على زمن الحدث ومكانه، وهما عنصران مهمّان في القصص والروايات.
- اختار المانع الأزمنة التي تتواءم مع الأمكنة في معظم قصصة، وكان موفّقا إلى حدّ كبير في اختياره.
- الاسترجاع يعني أن نرجع إلى الماضي فنستحضر أحداثا قد تعيننا في زمننا الحاضر، أو قد تزيد من أحزاننا، وأمير المانع استخدم الاسترجاع في أكثر من قصّة ليستعين به للشخصيّة في الزمن الحاضر.
- وظّف المانع الأمكنة كعنصر أساسي يعبّر به عن الحرمان وقد جعلها هو الغالبة على العناصر الأخرى في معظم قصصه.

خلفيّة البحث

درست الطالبة الجزائرية فاطيما ظافري الزمكانيّة في رسالتها للماجستير (الزمكانيّة في رواية حبّ في خريف مائل) حيث تطرّقت إلى المفهوم النفسي والفلسفي والفيزيائي والأدبي للزمن؛ وقد أشارت إلى المفهوم اللغوي والاصطلاحي للمكان وأنّ هناك علاقة وطيدة بين الزمان والمكان.

ومقال لجمال طالبي عنوانه (مستويات البنية الزمكانيّة في رواية سجين المرايا) لسعود السنوسي نشر في مجلّة الخوارزمي المحكّمة. وقد تطرّق جمال إلى دور الزمكانيّة في تسريع الأحداث، وتوصّل إلى أنّ الرواية يغلبها الطابع الزماني أكثر من المكاني، وزمن الاسترجاع طغى على زمن الاستباق.
وقد كتب سعيد إسماعيل مقالا حول القصّة القصيرة جدّا بحث فيه قضيّة الالتزام نُشر في مجلة المداد الأهوازيّة.
وبالنسبة إلى القصّة القصيرة جدّا لم يتطرّق الكثيرون إلى بحث الزمان والمكان فيها، ذلك لأنّ هذا النوع من الأدب يُعدّ أدبا جديدا؛ إلّا اللهمّ دراسات مشتّتة هنا وهناك، في بعض الصحف والمجلّات العربيّة، أو في مجموعات التواصل كالفيسبوك، وقد تطرّقوا إلى العناصر الأخرى لهذا النوع من الأدب كالدهشة، أو التكثيف، أكثر من غيرها، ولم أجد محقّقا درس عنصري الزمان والمكان في كتاب الثالثة والعشرون.

منهج البحث

سيعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي - الوصفي، حيث سعى أن يأتي بقصص قصيرة جدّا من كتاب الثالثة والعشرون للكاتب أمير المانع فيدرس عنصري الزمان والمكان فيها.

الكاتب في سطور

وُلد أمير المانع في الفلاحيّة حيث النخيل والبيئة الزراعيّة والكرم والجود. دخل عام 2010 م. الجامعة الأهليّة في نفس المدينة وتخرّج منها، ثمّ استأنف دراسته في جامعة عبّادان وحصل على شهادة هندسة الحاسوب.

مارس أمير العمل الثقافي والصحفي الإلكتروني منه والورقي. أصدر مجلّة ورقيّة تحت عنوان (جهاد القلم) في جامعة الفلاحيّة وترأس تحريرها. أحبّ القراءة والكتابة منذ صغره، ورغم فرع دراسته يكتب باللغة العربيّة الفصيحة، صدرت له مجموعة قصص قصيرة جدّا اسمها الثالثة والعشرون ورقيّا في مئة وستّ صفحات، كتب في هذه الصفحات ثلاثا وتسعين قصّة قصيرة جدّا معظمها لا يتجاوز السطرين أو الثلاثة أسطر.

هاجر أمير المانع من الفلاحيّة وسكن الأهواز، وهو الآن يستعدّ لينشر إنتاجاته الأدبيّة والتي خصّصها في هذا الأدب الجديد الذي نسمّيه القصّة القصيرة جدّا. كتاب (الثالثة والعشرون) هو ثالث كتاب يصدر حول القصّة القصيرة جدّا في الأهواز وفي إيران كلّه، لم يسبق هذه المحاولات الثلاثة كتاب صدر في هذا الحقل الجديد، كان سعيد مقدم أبو شروق هو أول من أصدر كتابه (كبرياء) في القصّة القصيرة جدّا ورقيّا، ثمّ تلاه سعيد إسماعيل بكتابه (نون النضال) وقد نشره إلكترونيّا، ثمّ جاء كتاب الثالثة والعشرون، وبعد أعوام صدر كتاب رابع لسعيد مقدم أبي شروق اسمه (الأرض) والذي خصّصه لهذا الفن الأدبي الذي نختصره بحروف مقطّعة (ق ق ج)، وهذه الحروف تعني (القصّة القصيرة جدّا).

المبحث الرئيسي

الزمان والمكان في القصّة القصيرة جدّا

من العناصر المهمّة في الأدب هما الزمان والمكان، فإن لم يكن المكان، فأين يقع الحدث؟!

فالمكان هو الذي يحتوي الأحداث في فضائه لتتولّد وتتحرّك وتُخزَّن، الحدث يقع في فضاء ثلاثي الأبعاد مثل الشارع والبيت والصفّ وقرص الحاسوب الصلب وما شابهها.

فلولا المكان لما كان وجود لكلّ شيء، ولا حركة ولا حياة ولا كيان. فالفضاء الذي يحتوي الأجرام السمائيّة والسيّارات والكواكب، بما فيها الأرض والشمس؛ وأرحام النساء التي صوّرنا الله فيها، (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ ...آل عمران: 6) والبحار والأنهر التي سخّرها الله لنا، كلّها أمكنة.

«لم يعد المكان مجرد أداة لوظيفة إشارية لمعنى من المعاني الثابتة، أو ديكورا هامشيّا

لمشهد من المشاهد، إنّما صار عنصرا حكائيّا هامّا قائما بذاته، و طرفا أساسيّا من أطراف العمل القصصي أو الروائي، فهو لا يعيش منعزلا عن باقي عناصر السرد، وإنّما يدخل في علاقات متعدّدة مع المكوّنات الحكائيّة الأخرى للسرد كالشخصيّات والأحداث والرؤيات السرديّة... وعدم النظر إليه ضمن هذه العلاقات والصلات التي يقيمها يجعلمن العسير فهم الدور النصّي الذي ينهض به داخل السرد.» (باديس، 2009، ص 159)

أمّا الزمان، فإن لم يكن، فكيف تتطوّر الأحداث في المكان؟!

أليس مرور الزمان كفيل بالأحداث ونموّ الشخصيّات في المكان؟ وبنموّ المكان أو تراجعه أيضا؟

«والقصّ فنّ زمنيّ في المقام الأوّل، وإنّ كلّ قصّة تقتضي نقطة انطلاق في الزمن، فالنصّ القصصي له بنية زمنيّة قائمة بذاتها.» (عمران، 2022، ص 88) والزمن قد يكون داخليّا والذي قد نصفه بزمن الشخصيّة، أو خارجيّا وهو الذي يظهر فيه نموّ الشخصيّة وحركاتها وعلاقاتها بالآخرين.

وينقسم أيضا إلى زمن الاسترجاع، ومن خلاله نرجع إلى الوراء ونستذكر خواطر لها علاقة بكوامن أنفسنا في لحظاتنا الحاضرة؛ وإلى زمن الاستباق، ونسافر فيه إلى المستقبل فنبني بعض تطلّعاتنا.

ويعتبر البعض زمن الاسترجاع وزمن الاستباق «ماضيا يكمّلنا، ومستقبلا يفكّكنا» (القصراوي، 2004، ص 15) والزمن عنصر بنائي في القصص والروايات وفي جميع النصوص، «فإنّه يؤثّر في العناصر الأخرى وينعكس عليها، فالزمن حقيقة مجرّدة سائلة لا تظهر إلّا من خلال مفعولها على العناصر الأخرى، الزمن هو القصّة وهي تتشكّل.» (سيزا، 2004، ص 38)

أمّا استخدام الزمكانيّة في القصّة القصيرة جدّا يستوجب أن نجعلهما غالبين على العناصر الأخرى، وذلك لأنّ مجال هذا النوع من الأدب لا يسمح للعناصر الأخرى أن تجول وتصول فتسير بالقصّة إلى التفصيل.

1- مكان مفتوح وزمن يغمره الظلام خشية على حافة نهر خوّاف وقف يبحث ليلا بين طبقات كرب النخلة عن سيجارة أخفاها صباحا عن أبيه.

2- وجدها، أشعلها، جلس متّكئا على جذع النخلة، أخذ منها نفسا عميقا... فربت أحد على كتفه. (المانع، 1396 ه. ش. ص 7)

نهر خوّاف مكان مفتوح، وهو يرمز إلى الخير والبركة، والأنهر فيها السمك الذي يُعدّ مصدر رزق للذين يسكنون بالقرب منها، وهي تسقي أشجارهم ومزارعهم؛ ثمّ يذكر الكاتب مكانا آخر هو كرب النخلة، وقد خبّأ الفتى - ويبدو أنّه مراهق - سيجارة بين الكرب، هذا المكان أيضا يقع في الفضاء المفتوح، والنخلة مصدر رزق أيضا؛ والمكان الأوّل في القصّة هو المكان الرئيسي، وكرب النخلة المكان الثانوي، لكنّ هناك علاقة وطيدة بين المكانين؛ علاقة حياة وموت؛ فلولا النهر، لماتت النخلة. وهذه العلاقة نفسها تنعقد في صورة أعمق بين النهر والنخلة من جهة، والإنسان من جهة ثانية.

كان الإنسان منذ القدم وما يزال يفضّل السكن قرب الأنهار، فالفلّاح يسقي مزرعته بمياهها، وراعي الدوابّ يورد دوابّه منها، وهناك الجاموس الذي من طبيعته أن يسبح في الأنهار كلّ يوم.

وحافّة الأنهار مكان مألوف للناس، وحسب الثقافات المختلفة قد يتسامر عندها ليلا كما يحدث على شواطئ نهري كارون والكرخة، أو قد يزورونها نهارا، كما يخرج الأوروبيّون - على سبيل المثال- ضحى أو عصرا ليتنزّهوا قرب الأنهار.

أمّا الأنهار الضيّقة التي يستخدمها الفلّاحون لريّ مزارعهم، كهذا النهر الذي ذكره الكاتب في قصّته، فهي أمكنة غالبا ما يقصدها الفلّاح نهارا عندما يريد أن يسقي منها نخيله؛ ولذا فإنّ حضور الفتى ليلا على حافّة نهر خوّاف يبدو أنّه أمر مريب. وقد يكون الذي ربت على كتفه انتبه لهذا الحضور المريب فتبعه ليكشف أمره، وخصائص القصّة القصيرة جدّا تمنع المانع أن يظهر شخصيّة هذا الذي ربت على كتف الفتى في ذلك المكان المظلم.

ويستخدم الكاتب هذين المكانين اللذين يرمزان إلى الخير، لعمل يعتبره شرّا! إذن هناك تضادّ بين المكانين من جهة، وبين استخدامهما لأجل عمل يراه الكاتب مشينا من جهة أخرى.

أمّا الزمان فجاء في القصّة مرّتين، صباحا وليلا، وبينهما تضادّ، فالصباح رمز للصفاء والإظهار والوضوح لضيائه، وهو يبشّر بالخير. وتمارس فيه الأعمال التي لا حاجة أن يخبّئها المرء عن الآخرين.

أمّا الليل فقد يرمز للكتمان والخفاء والأسرار المريبة، ومعظم الأعمال السيّئة يرتكبها المجرمون ليلا. ولهذا خبّأ الفتى سيجارته في الصباح ليدخّنها ليلا، فنور الصباح لا يسمح أن تُرتكب في وضح ضيائه أعمال مشينة، أمّا الليل فيغطّي بظلمته من تسوّل له نفسه أن يرتكب جريمة، أو شبه جريمة كما فعل مراهق قصتنا هذه.

واختيار الليل زمنا للتدخين لا يعني أنّ الكاتب يرى هذا العمل عملا مشينا للفتى، ربّما اختار هذا الزمن للاختلاء وليخلّص الفتى من سلطة الأب الذي يراه أنّه يتدخّل بأمور ابنه الخاصّة.

فالليل لا يعني دائما أنّه زمن لارتكاب الأعمال السيّئة، فهو زمن الستر والراحة كما ذكره الله سبحانه في كتابه الكريم:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً﴾ (الفرقان: 47)

2- أمكنة مفتوحة وأفعال تدلّ على الزمن الميزان على رصيف شارع الأمير طفلة تزن ثقل العابرين بميزان إلكتروني، تبعدها بضع خطوات عن امرأة افترشت الأرض بساطا.

وسط زحام الشارع شاب يغوص في حاوية النفايات ليستخرج قطع الـ... تصل عربة البلديّة، ترفع الحاوية ... تهمّ الأمّ نحوه دائسة بساطها؛ تتبعها أخته بعد أن عثرت بالميزان وتركته مقلوبا. (المانع، 1396، ص 14)

في هذه القصّة الحزينة التي تعكس واقعا مريرا من أسرة تعمل بأكملها في شبه أعمال، لدينا مكان مفتوح رئيسي هو شارع الأمير، ويبدو من أحداث القصّة أنّه سوق شعبيّ. يليه مكان ثانوي مفتوح أيضا هو الرصيف، والذي يقع في الشارع نفسه، وهو جزء من المكان الأوّل؛ والذي بسطت الأمّ أشياءها عليه؛ وجلست البنت بميزانها الإلكتروني في الشارع ذاته وعلى الرصيف نفسه؛ الشاب يبحث في صندوق حاوية الشارع أيضا؛ ونعلم أنّ هذه الحاويات عادة ما توضع في الأسواق ليُلقى فيها ما لا يصلح للبيع والشراء، ووجود الفتى في صندوق بهذه المواصفات يدلّ على شدّة فاقة الأسرة. إذن لدينا مكان ثالث هو صندوق الحاوية، وهو مكان يستوجب أن يكون مغلقا لدلائل صحيّة، لكنّ هذه الصناديق التي يتكلّم عنها كاتبنا كبيرة قد تبلغ أبعادها أكثر من متر، وهي مفتوحة، وعادة ما تضعها البلديّة على الرصيف أو في جانبه، وهي متحرّكة أيضا؛ نفهم هذا من رفعها بواسطة عربة البلديّة.

وعربة البلديّة هي المكان الرابع، مكان متحرّك ومغلق، وقد يكون مفتوحا في الدول الفقيرة، أو في الأحياء الفقيرة. نوع هذه العربة يختلف من حيّ إلى حيّ، راقية ومغلقة في أحياء الأغنياء، شبه مدمّرة ومفتوحة في أحياء الفقراء.

والمكان الخامس هو الميزان الذي يقف عليه المرء ليعرف وزنه، وهو مكان متحرّك، قلبته الأخت عندما هبّت كالمجنونة لعلّها تنجي أخاها من الموت في وسط النفايات والقمامات.

تُعدّ هذه الأمكنة الخمسة مصدر رزق لهذه الأسرة الفقيرة. إذن هي أمكنة خير بالنسبة للفقراء رغم أنّها غير آمنة وقد تكون محفوفة بأنواع المخاطر. ففي نهاية القصّة التي صدمتنا بدهشتها، رأينا كيف تعرّض الفتي في المكان الثالث، أي صندوق الحاوية، إلى خطر قد يؤدّي إلى موته.

هذا المكان الذي قد يعدّه الكثيرون مكانا قذرا، وإذا ما صادفوه في الشارع يبتعدون عنه مسرعين اتقاء من روائحه النتنة، هو مصدر رزق لهذا الشاب، ولذا يدخل فيه ويغوص في نفاياته باحثا عمّا يصلح للبيع أو حتّى للأكل.

أمّا بالنسبة إلى الزمان، لم يأت ذكر زمان معيّن مثل اللحظة، أو الدقيقة، أو الساعة، أو ما شابهها؛ وإنّما أتى الكاتب بأفعال دلّت على الزمان.

مثلا: "طفلة تزن ثقل العابرين"، استخدم الكاتب فعلا مضارعا والذي يدلّ على زمن الحال والمستقبل. (الشرتوتي، 1369، ص 11) امرأة افترشت الأرض بساطا، فعل دلّ على زمن الماضي، وكذلك فعلا عثرت وتركت.

وهناك أفعال مضارعة أخرى مثل: يغوص، يستخرج، تصل، ترفع، تهمّ، تتبعها؛ كلّ هذه الأفعال تدلّ على حدث وقع في زمن معيّن.

والأفعال المضارعة قد تكون رمزا لاستمرار الحياة رغم صعوبتها. ثمّ أنّ جميع هذه الأحداث وقعت في النهار، وهو زمن ممتدّ من شروق الشمس إلى غروبها.

في هذا الزمن يسعى معظم الفقراء إلى الحصول على رزقهم يكدحون ويكدّون؛ أمّا في الليل، فيجتمعون حول سماط عليه أطعمة بسيطة هُيّئت من مال حلال جاء نتيجة كدح النهار، ثمّ لا يلبثون أن يناموا نتيجة لتعب ذلك الكدّ والإرهاق.

في هذه القصّة نرى جليّا أنّ عنصر المكان طاغٍ على عنصر الزمان، حيث جاءت الأمكنة متسلسلة كلٌّ منها ينقل مأساة من فقر هذه الأسرة الفقيرة.

3- مكان نامٍ واسترجاع في الزمن أرق بعد أرق طويل تذكّر قولها: إذا لم تنم بسهولة فارسم في مخيّلتك خيطا يمشي، وتعقّبه حتّى ترقد، رسم خيطا لكنّه لم يمش؛ أضاف له عجلات، ثمّ مقعدا، ودوّاسات؛ وراح يتجوّل عليه في الأزقّة مغمّض العينين. (المانع، 1396، ص 18)

لم يذكر الكاتب عمر الشخصيّة في هذه القصّة، ولأنّها قصّة قصيرة جدّا فحسنا ما فعل، ذلك ليجعل القارئ يشاركه في التأويل، ويبدو أنّ الشخصيّة الحاضرة طفل يتذكّر نصيحة أمّه، وقد يظنّه قارئ آخر شابّا، أو كهلا، أو ربّما شيخا يتذكّر إرشاد الطبيبة الإختصاصيّة لأنّه يعاني من الأرق.

والأرق الطويل زمن، قد يصل إلى ربع ساعة أو أقلّ، ولكنّ الطفل يبالغ به في ذهنه الصغير المحدود فيحسبه زمنا طويلا.

وإن كان شخصيّة قصّتنا رجلا بالغا، فهذا الزمن قد يصل إلى ساعة أو قد يتجاوزها ليصل إلى تخوم الفجر؛ وأسباب الأرق عند الكبار قد تتعدّد لتكون عاطفيّة أو اجتماعيّة أو اقتصاديّة ...

وقد بدأت القصّة بزمن طبيعي تتوالى لحظاته لحظة بعد لحظة، لكنّه زمن بطيء ومتعب، والأرق يرهق الإنسان أكثر من عمله اليومي.

ولكي يجد صاحب شخصيّة قصّتنا حلّا لمشكلته هذه، استنجد بالماضي عبر الذاكرة، ففي تذكّره قولها، استرجاع قريب في الزمن؛ وقد نجد راحتنا في الاسترجاع مثلما عمل هذا الآرق.

وفي القصّة ثلاثة أزمنة استخدمها الكاتب لشخصيّة قصّته، الزمن الماضي الذي تمّ الاسترجاع إليه، والزمن الحاضر الذي رسم فيه الخيط ثمّ عدل عن إرشاد المرشدة وغيّر الرسم إلى سيّارة خياليّة، ليُدخل الكاتبُ قصّته من خيال إلى خيال آخر، ثمّ استبق الزمن وذهب إلى المستقبل متجوّلا في سيّارته الخياليّة وهو مغمض العينين.

وهذه الأزمنة الثلاثةتدلّ على شخصيّة ليست مستقرّة، وزمنها كان يسري بطيئا عند الأرق كما أسلفنا، فاضطرّ أن يهرب منه إلى الماضي؛ وعندما استعان باستدعائه، دخل في المستقبل، وبدأ الزمن يسير بسرعة.

«والشعور بمرور الزمن سريعا أو بطيئا مرتهن بالحالة الشعوريّة.» (القصراوى، 2004، ص 149) فكأنّ صاحبنا طاب له التطوّر الذي حصل فراح زمنه يركض بسرعة سير السيّارة!

والسيّارة مكان متأرجح، والأمكنة المتأرجحة غالبا ما تجعل الإنسان يحس بشعور لطيف، لكنّها من جانب آخر تجعل الإنسان غير مستقرّ.

ولنرجع إلى بداية القصّة لنتناغم مع أجوائها الاسترجاعيّة حيث تكلّم الكاتب عن الأرق الطويل، ولم يخبرنا عن مكان النوم! ففي أي مكان كان بطل قصّته متمدّدا يحاول النوم، وليس الكاتب ملاما طبعا، فهذا التكثيف يأتي رعاية لشروط هذا النوع من الأدب الجديد.

وقديما، كانت الناس في الفصول الحارّة تنام في فناء البيت، أو على أسطحه، أي كان مكان النوم مفتوحا في الفضاء الطلق، وهذه الأمكنة المفتوحة لها ميزاتها الحسنة التي تجعل الزمن يمرّ مسرعا.

أمّا الآن فأمست أمكنة النوم مغلقة، ولا نستبعد أنّ لهذا الأمر علاقة وإن كانت بعيدة في إبطاء حركة الزمن.

والخيط لا نستطيع أن نعدّه مكانا، لكنّه تطوّر كالشخصيّة النامية فأمسى مكانا خياليّا متحرّكا بعد أن جعل له الآرق عجلات ومقعدا ودوّاسات، فصار سيّارة يسير بها في الأزقّة.

والأزقّة مكان ثالث استخدمه الكاتب في قصّته، حيث جعل بطل القصّة يتجوّل فيها مغمض العينين وكأنّها سيّارة ذكيّة تعرف طريقها.

والكاتب كان موفّقا في قصّته حيث استهلّها بزمن بطيء تمرّ لحظاته بصعوبة وضجر، ثمّ تحوّل الزمن إلى الجادّة السريعة في نهاية القصّة فأمسى زمن الشخصيّة غير متجانس نظرا إلى حالتها الشعوريّة، من الأرق ومعاناته، إلى الاسترجاع والبحث عن حلّ، إلى التجوال في الأزقّة بسيّارة خيطيّة ذكيّة.

4- للأمكنة دلالتها وللأزمنة أيضا منبّه عبر مكبّر الصوت يصرخ في الحيّ كلّ صباح: ماي، ماي، ماي تصفية، ماي.

تخرج امرأة عجوز وعلى رأسها طبق من القاقلّي، متّجهة لبساطها في السوق: ما زالوا نائمين. (المانع، 1396، ص 37)

القاقلّي: نبت (ابن منظور، 1988، مادّة ققل)

ماي: ماء (الشويكي، 1394 ه ش، مادة ماي)

ظاهرة بيع مياه الشرب في الأهواز ظهرت بعد أن أمست مياه الأنابيب المنزليّة غير صالحة للشرب، فيأتي البائع بصهريجه الذي عادة ما يحمله على درّاجة ناريّة ذات ثلاث عجلات، ويبدأ النداء بمكبّر الصوت مخبرا عن مجيئه، فيُخرج الناس أوانيهم الخاصّة لتخزين المياه فيملؤونها مقابل مبلغ من المال.

وعادة ما يتمّ بيع الماء المصفّى في الأحياء الشعبيّة الفقيرة، أمّا الأحياء الراقية فلديهم أجهزتهم الخاصّة لتنقية المياه وتصفيتها. فنوع الأمكنة تعطي قيمة عن ساكنيها وعن وضعهم المعيشي والاجتماعي.

والكاتب ينقد الفقراء لمكوثهم في فراش النوم طويلا وكأنّ لسان حاله يسأل مستنكرا: إن كنتم فقراء يا ساكني هكذا أحياء، فلماذا أنتم نائمون لحدّ الآن ولا تستيقظون؟! ألا تعلمون أنّ طرد الفقر يتمّ عند الصباح المبكّر، وإلّا بقي جاثما على صدوركم لتستمرّوا في دنيا المعاناة؟!

والمكان الذي تبدأ القصّة به هو درّاجة ناريّة يأتي البائع بها، مكان متأرجح مفتوح ويُعدّ مصدر رزق لبائع المياه؛ وحياة هذا البائع التي يقضيها من الصباح إلى المساء في هذا المكان المتأرجح تدلّ على أنّها ليست حياة هنيئة، فالحياة الهنيئة تتطلّب أن لا تكون أمكنتها مضطربة طوال اليوم. ثمّ إنّها مركبة كلّ شيء فيها يدلّ على الفقر، فهي مكشوفة لا تقي سائقها من أشعّة الشمس في الصيف، ولا من المطر في الشتاء، ولا من البرد؛ حتّى عجلاتها الثلاث تدلّ على أنّها ليست آمنة كالسيّارات، ومعرّضة

للانقلاب.
هذا الفقر لا يختصر على سائق الدرّاجة الذي يمارس هذه المهنة المُقنّعة فحسب، بل يشمل ساكني الحيّ الذي يبيع فيه الماء أيضا، وهذا الحيّ يُعدّ المكان الثاني في القصّة، فهو حيّ فيه أكثر من صفة تدلّ على فقر ساكنيه وعوزهم، نوع الدرّاجة التي تدخل فيه، وهذا النوع من الدرّاجات يحدث أصواتا من محرّكاتها يزعج الآذان، وقد يعود سبب هذه الأصوات المزعجة إلى كثرة استخدامها، فسائقها الفقير يخرج بها قبل طلوع الشمس، ولا يرجع إلى بيته إلّا بعد غروبها.
وصوت صراخ البائع بمكبّر الصوت الذي لا تسمعه إلّا في الأحياء الفقيرة، كلّ هذه الأدلّة تشير إلى فاقة ساكني هذا المكان.
المكان الثالث الذي ذُكر في القصّة هو السوق، وقد اتّجهت العجوز نحوه ولها فيه بساط، والبساط دليل على الفقر أيضا، فهي فقيرة لا تملك محلّا تبيع بضاعتها فيه.
والبساط هو المكان الرابع، فراش تعرض العجوز القاقلّي عليه، والقاقلّي نبات برّي مالح يكثر في فصل الربيع ولا يأكله إلّا الفقراء.
وكأنّ الكاتب هيّأ كلّ هذه الأمكنة المتواضعة ليصف بها ساكني الحيّ دون أن يستخدم نعوتا مباشرة لوصف فقرهم. فنوع الأمكنة كما أسلفنا تدلّ على المكانة الاجتماعيّة والأوضاع الاقتصاديّة لساكنيها.
أمّا الزمان فهو الصباح، الصباح الذي تُسمع فيه الأصوات حتّى لو كانت همسا، فكيف إن كانت صراخا ترجس من مكبّر الصوت وتكاد أن تميت الأنفس من شدّتها؟!
(يقول ابن الرومي يهجو مؤذّنا:

وكأنّ صوتك حين تصدح صوت رعد يرجس فإذا صدحت مؤذّنا كادت تموت الأنفس

عچرش، 1390، ص 159)

5- تاويل المكان والزمان نداء رفع يده حاملا عتلة حادّة ليضرب بها الجذع الظامئ.
أوقفه صوت من بين النخيل: دعها تمت شامخة. (المانع، 1396، ص 38)
توجد في هذه القصّة تأويلات ظريفة للمكان والزمان، لم يذكر الكاتب البستان في قصّته القصيرة جدّا هذه، لكنّنا نستطيع وبكلّ سهولة، ودون أن نستدلّ ببرهان، أن نفهم أنّ الحدث هذا يجري في مكان توجد فيه النخيل، وهو البستان. والبستان مكان من النوع الثابت والمفتوح والرئيسي.
يرمز هذا المكان إلى الحياة والنموّ والجمال.
الجذع أيضا مكان قد تعشّش على أعاليه الطيور، وتتّخذ من منحدره الحشرات والزواحف بيوتا. وهو موقع الحدث الذي بنا الكاتب قصّته حوله.
والجذع الظامئ يدلّ على وجود مكان ثالث هو النهر، لكنّه نهر جافّ؛ والكاتب يشير في أكثر من قصّة إلى جغرافيّة منطقة مملوءة بالأنهار، لكنّ هذه الأنهار يبدو أنّها جفّت لأسباب عدّة لم يشر إليها الكاتب، وربّما تركها ليفسّرها القارئ، أو أنّها معلومة شائعة لم يرَ ضرورة للإفصاح بها.
إذن استطعنا أن نؤول أمكنة ليست موجودة، لكنّ القصّة تشير إلى وجودها من بعيد.

وهذه الأمكنة كلّها توحي للحريّة والانبثاق.
ولم نرّ أثرا بائنا للزمان أيضا، ونعلم أنّ الأحداث لا تجري في الأمكنة دون وجود الزمان، وهذا يُلزمنا أن نؤول الزمان أيضا.
ويرجّح أن يكون الوقت لحدث القصّة صباحا، ذلك لأنّ الفلّاح يعمل في الصباح.
«والزمان في حقيقته غير مدرك، وإنّما يتمّ إدراكه عن طريق التحوّل في المكان أو التغيير في الصفة.» (الكردي، 2006، ص 186) والتحوّل في قصّتنا هذه يتمّ في البستان، والجذع، والنهر الجاف؛ والتغيير حصل في جفاف الجذع.
وفي القصّة مفارقات عجيبة، الصباح يبشّر بالخير، لكنّ النهر غائب وترك الجذع ظمآن وقد أشرف على الهلاك ما اضطرّ الفلاح أن يقتلعه! والبستان رمز للحياة، لكنّ الصوت الذي انبثق من بين النخيل يتكلّم عن الفناء ويدعو الفلّاح أن يترك الجذع ليموت واقفا!
والرموز المختبئة بدأت تظهر لتبيّن لنا أنّ هناك صراعا قائما بين الموت والحياة، والحياة تقاوم لتستمرّ وتأبى الاستسلام، وقد رمز الكاتب لهذه المقاومة بالجذع الذي يفضّل أن يموت واقفا.
فالأمكنة هنا لعبت دور المسرح والضحيّة، والزمان جاء ليمنح المسرح حيويّة ونشاطا، وليدعوها إلى أنّ الخير ليس في الانصياع، وإنّما في الرفض والمقاومة، حتّى لو أدّى هذا الرفض إلى الموت؛ لكنّ موتا في الأعالي، أفضل بكثير من موت برضوخ؛ وإن كان طعم الموت في كلا الحالتين طعم واحد كما يقول المتنبّي:

فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيم

(المتنبّي، 1983، ص 232) فليس من الجدير أن يختار المرء موتا حقيرا لا يليق بشخصيّته إذن.

6- الزمن يتقدّم والمكان يتراجع عقاب حدّق في نهر الدجيل من فوق الجسر الهلالي والغبار يملأ السماء، علّه يرى الشمس تتدفّق فيه.

فرأى طفلا بدرّاجته الهوائيّة يلعب وسط النهر. (المانع، 1396، ص 45)

استهلّ الكاتب القصّة بالتحدّق إلى المكان، إلى نهر الدجيل، وهو المكان الرئيسي لهذه القصّة حيث تدور الفكرة حوله، يعلوه مكان آخر هو الجسر، فالشخصيّة إذن تنظر من مكان مرتفع إلى مكان منخفض، والمكان المنخفض هنا يرمز إلى التراجع والجفاف والهبوط إلى القعر فعلا. ورغم أنّه مكان مفتوح، لكنّ هذا الانفتاح لم يسعفه من اليباس، كان متحرّكا هادرا، فأمسى ساكنا هادئا! وقد تقهقر إلى درجة حيث صار الطفل يلعب وسطه بدرّاجته الهوائيّة. وكأنّ هذا المكان تغيّرت طبيبعته وتبدّلت هويّته!
هل تراجُعُ الأمكنة قد يؤثّر في الأمكنة الأخرى سلبا، فيجعلها تتراجع هي الثانية؟ أو حتّى تزال من الوجود؟
الجواب هو: نعم، جفاف النهر قد يؤدّي إلى الاستغناء عن الجسر، ربّما بعد سنوات من جفاف النهر يرى الناس أن لا جدوى للجسر، فيزيلونه ويُساوون مكانه ليتمّ تبليطه.
إذن بات هذا النهر رمزا للحرمان، يستخدم الكاتب مكانا آخر لدعم رؤيته هذه، يستخدم السماء المملوءة بالغبار، السماء مكان مرتفع هو الثاني، لكنّ الغبار جعل ارتفاعه كالانخفاض الذي يضرّ ولا ينفع؛ فقد ملأ الغبار هذا الفضاء العالي بتلوّثه، وفي هكذا

أحوال تنصح مراكز الصحّة الناسَ أن يلزموا البيوت حفظا لسلامتهم، إذن هذا الارتفاع لا يبشّر بالخير والسلامة.
والشمس مكان لضخّ النور والحرارة، لكنّ هذا النور قد حالت بينه وبين الأرض ذرّات الغبار فجعلت الأجواء مكفهرّة توحي بالحرمان أينما نظرت إليها!
والدرّاجة الهوائيّة مكان آخر، مكان متحرّك متأرجح صغير، ومن الطبيعي أن يستخدمها الأطفال في ألعابهم لتخلية طاقاتهم ونموّ مهاراتهم؛ لكنّ الكاتب جعل هذا الطفل يلعب في مكان غير مألوف، فهو لا يلعب في الدوائر التي خُصّصت في الحدائق العامّة لهذا الغرض، ولا في مكان خالٍ من المشاة مع الأطفال الآخرين؛ وإنّما في وسط النهر!
فكلّ هذه الأمكنة والأحداث غير المألوفة التي تحدث فيها، جعلت القصّة معبّرة عن أمر لا يبشّر بخير.
ولم يتحدّث الكاتب عن الزمن سوى أنّه أشار إلى الشمس، والتي توحي بأنّ هذا التصوير الذي رسمه الكاتب لنا، حدث في النهار؛ ليقول إنّ هناك ظلما يحدث في وضحه جعل الطبيعة مشوّهة، والحياة صعبة.

7- زمن نفسي ومكان ذكي تنفيذ في نهاية محاضرته أكّد على الاهتمام بتعليم المرأة ومراعاة حريّتها الشخصيّة واستقلالها الفكري والاقتصادي...

ذات يوم سألتني زوجته: أزوجك أيضا يفتّش هاتفك كلّ مساء؟ (المانع، 1396ه ش، ص 52)

في هذه القصّة نرى تضادّا صارخا بين قول المحاضر وفعله، فهو يوصي الآخرين أمر ولا يلزم نفسه بمراعاته!
ومحاضرته تمّت في ظرف من الزمن، ويظهر أنّ موضوع محاضرته كان حول التعليم، إذن هذا الزمن يرمز إلى التقدّم والازدهار، يرمز إلى نشاط المثقّف واهتمامه في أمر تعليم أبناء شعبه، تمّت المحاضرة في زمن طبيعي حركته تتقدّم إلى الأمام، ومع تقدّم الزمن هناك دعوة وإصرار إلى تقدّم المجتمع علميّا وثقافيّا لينتج بعد سنوات جيلا يرجو الشعبُ خيره.
لكنّنا ندخل من الزمن الطبيعي إلى الزمن النفسي حيث ينقلب هذا المحاضر فيه إلى مفتّش يبحث في جوّال زوجته عن أسرارها الشخصيّة!
وهذا الزمن الشخصي يُعدي الزوجة بضجره أيضا فيجعلها كئيبة تمضي لحظاتها ببطء! فتظنّ هذه الزوجةُ الكئيبة أنّ جميع الأزواج يتصرّفون كزوجها، فتجد زمنا مناسبا والذي يصفه الكاتب بذات يوم لتسأل امرأة أخرى عمّا إذا كان زوجها يفتّش نقالها أم لا؛ وكأنّها تتساءل بغرابة لماذا أمسى الرجل من الفئة الذين (يقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ)؟! (لشعراء: 226) والهاتف كان وسيلة للاتصال فحسب، ثمّ أصبح فيما بعد وسيلة للتواصل النصّي والتصويري، ثمّ ترقّى لتُحفظ فيه الكتب الإلكترونيّة والمعلومات الشخصيّة.
ولو استرجعنا الزمن إلى عقدين أو أقلّ، لرأينا أن الفتيات والنساء كانت تخبّئ أشياءها الخاصّة وأسرارها في صناديق يتمّ إقفالها باستحكام.

ومع تطوّر الزمن ونموّه، أصبح الهاتف الذكي يعمل كذلك الصندوق نستطيع أن نخبّئ فيه أسرارنا ونقفله بقفل رمزي تتشكّل رموزه من حروف أو أرقام أو أشكال هندسيّة. إذن نستطيع أن نعتبر الهاتف الجوّال الذكي مكانا، ونطلق عليه تسمية جديدة (المكان السرّي).

ويختار الزوج الفضول الوقت غير المناسب ليواءم تصرّفه القبيح مع هذا الوقت، يفتّش جوّال زوجته وقت المساء!

ولا مراء أنّه أجبرها لتفشي له القفل السرّي ليقتحم هذا المكان الخاصّ الذي كان عليه أن يحترم خصوصيّته وهو واثق من زوجته ووفائها، أو مراعاة لأقواله التي ألقاها في محاضرته.

إذن هذا المكان الذي يرمز إلى التطوّر العلميّ والتكنولوجيا من جهة، فقد أمسى من جهة أخرى مصدر قلق لزوجة هذا الذي يدّعي بأنّه مثقّف، وهو ما زال يتخبّط في وحل الأميّة وظلماتها، والشكوك تحيط به من كلّ صوب ومكان! فالشخصيّة في النصوص قد تقلب المكان الخاصّ والمألوف إلى مكان أمسى مصدر قلق لشخصيّة أخرى.

8- مستقبل لم يحقّق الأماني في المكان المأمول المهندس تخرّج في كليّة النفط بمعدّل ممتاز، التحق بالجنديّة وتسرّح بعد عامين.

ها هو يمرّ صباح كلّ يوم من قرب مصفاة النفط وصولا إلى السوق...ليبيع خبز أمّه.

(المانع، 1396، ص 65)

يتطرّق المانع في هذه القصّة إلى موضوع البطالة، ويستخدم أمكنة وأزمنة أوصلت القصّة إلى مرحلة الإدهاش في ختامها الصادم.

كليّة النفط، مكان يتمنّى أن يلجه معظم الطلّاب بما فيه من مكانة اقتصاديّة واجتماعيّة؛ فالطالب عندما يتمّ قبوله في هذا المكان، يستيقن إلى حدّ بعيد أنّ مستقبله سوف يكون زاهرا، وحياته حليفة بالرفاهية. إذن هذا المكان الكبير الراقي من كلّ الجوانب، هو رمز للرفاهيّة والعيش الرغد.

والمعسكر الذي يلتحق به الخرّيج بعد أن يتجنّد، مكان فاصل بين الكليّة والتعيين في وزارة النفط، فلا بدّ من المرور بهذا المكان الذي يرجّح أنّه ليس مفروشا بالزهور، وعلى الجنديّ أن يتحمّل معاناة المكوث فيه خلال المدّة المعيّنة لأجل الوصول إلى مبتغاه؛ فهذا المكان يُعتبر جسرا محفوفا بالمتاعب للوصول إلى مصفاة النفط حيث الراتب الضخم وراحة البال.

ومصفاة النفط هي المكان الثالث المأمول.

أمّا المكان الرابع الذي أدهشنا حقّا، هوالسوق! كيف آل الأمر بالمهندس الممتاز إلى السوق ليفرش بساطا يبيع عليه الخبز الذي تهيّئه أمّه العجوز وهو يمرّ من قرب مصفاة النفط التي تقع في جانب بيتهم؟!

ولسان حاله يردّد ما أنشده عمر الخيّام حيث قال:

يا ربّ هل يرضيك هذا الظمأ والماء ينساب أمامي زلال

(النيسابوري، ص 25)

وهذه الأمكنة الأربعة كلّها ثابتة لترمز إلى ثقلها العلمي في الكليّة، والمعاناة في

المعسكر، والثقل الاقتصادي في مصفاة النفط، وأخيرا الثقل الفكري والإحباط والخيبة في السوق.

والكاتب أراد أن يشير بصورة غير مباشرة إلى مصفاة النفط والسوق بالنسبة إلى المهندس بأنّهما مكانان متناقضان، فعمله في السوق يُعدّ مهنة مقنّعة لا يحصل من ورائه إلّا القليل من المال، بينما العمل في المصفاة عمل رسمي يدرّ على الموظّفين فيها براتب ضخم.

بعض الأزمنة لا تؤثّر في مجرى القصّة، ولهذا لم يذكرها الكاتب، لم يذكر لنا مدّة دراسة الطالب في الكليّة، هل درس أربع سنين ليتخرّج بشهادة البكلوريوس؟ أم أنّه حصل على شهادة الماجستير والتي تستغرق ستّ سنوات؟ أم استمرّ إلى الدكتوراه؟ لا فرق. هو تخرّج لكنّه لم يتوظّف في شركة النفط، وهذا هو الحدث المأساوي الذي وظّف المانعُ عدّة أمكنة وأزمنة ليعبّر عنه.

الزمن الثاني هو زمن العسكريّة الذي يستمرّ سنتين، وفي هاتين السنتين يذوق الجنديّ مرارة الفراق من أسرته، ويتحمّل أنواع التعب والإرهاق، فهاتان السنتان رمز للمتاعب، وهذا الزمن تختلف مدّته من دولة إلى دولة أخرى.

والصباح زمن آخر يرمز إلى النشاط، إلى العمل والدوام، لا فرق بين الذي يفرش بساطه في السوق والذي يعمل في الشركات العملاقة، كلاهما يخرج صباحا ليرتزق. وهذا الصباح يتكرّر فيه النشاط والنشور كلّ يوم سوى أيّام العطلة التي لا مجال لفضاء القصّة القصيرة جدّا أن يشير إليها.

9- في الأزمنة الحقيقيّة، الأمكنة قد ترمز إلى القنوط نباهة واجبكم الدراسي للأسبوع القادم: رسمة تحتوي على رجلين يغرسان فسيلة نخلة على حافّة الساقية.

أوليس النهر جافًا؟! (قال التلميذ.) (المانع، 1396، ص82)

من الذي تكلّم وعيّن الواجب للأسبوع القادم؟

هذا ما ترك تأويله المانعُ للقارئ، وهو تأويل سهل. يأتي هذا التكثيف مراعاة لشروط القصّة القصيرة جدّا.

حافّة الساقية هو المكان الرئيسي الذي من المتوقّع أن يدور فيه الحدث، غرسُ فسيلة نخلة، حدث سامٍ أوصى به الرسول صلّى الله عليه وآله وصحبه وسلّم حيث قال: «إنْ قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتّى يغرسها، فليفعل.» (سلامة، 2013)

هذا الحديث ومثله الكثير يؤكّد على أهميّة هذا الحدث، فهو أمر إنساني أوصى به نشطاء البيئة أيضا، وحافّة النهر مكان مفتوح وعامّ، وهذه النخيل التي تُغرس على حافّة الأنهار تزيد من جمالية المكان الأكبر، والمكان الأكبر العام هو الفضاء الذي نعيش فيه ونستنشق هواه، أي على حافّة النهر من الطبيعة.

وإن تحقّق هذا الأمر وغرس الرجلان فسيلة على حافّة الساقية، فسيتطوّر هذا المكان ليكون من الأماكن النامية، والمكان النامي يمنح القصّة حيويّة وجمالا.

لكنّ الكاتب يدهشنا في نهاية قصّته ليجعل حدوث هذا الأمر بلا جدوى!

فقد قال أحد التلامذة محتجّا ضدّ هذا الواجب الذي لا يرى واقعا محقّقا لوجوده، فأين

المكان الثاني الذي هو من لوازم نموّ الفسيلة؟! أي أين النهر؟!
والنهر الذي جفّ، هل نستطيع أن نطلق عليه اسم النهر؟!
الجواب قد يكون لا.
إذن النهر من الأمكنة التي بدل من أن تنمو، تراجعت! وفي هذا التراجع يكمن القنوط الذي يجعل الإنسان في أسىً ليتساءل عن أسباب هذا الجفاف.
ولا شكّ أنّ الكاتب يقصد استعطاف القارئ إلى هذه الأزمة التي أصابت النهر وجعلت التلميذ يتساءل مستنكرا، ولم يقتنع ليرسم رسمة حتّى لو كانت من خياله.
ومن سمات هذا المكان أنّه مفتوح، وكان من المتوقّع أنّ يكون جاريا ذا حيويّة، لكنّه أصبح ثابتا ميّتا بعد جفافه.
الرسمة أيضا ستكون مكانا مصوّرا للرجلين اللذين يغرسان الفسيلة، هذا المكان المرسوم سيكون دليلا للمكان الحقيقي، وتوثيقا لحدوثه، ذلك إن استطاع تلميذ أن يجد رجلين حقيقيّين يغرسان فسيلة على حافّة النهر حقّا.
أمّا الزمن فقد حدّده المدرّس حين قال: الأسبوع القادم، وهو من نوع الاستباق للزمن.
ونستطيع أن ندخل من باب التأويل فنقول إنّ المدرّس أعلن الواجب في نهاية الحصّة حيث ينتهي الدرس ويعيّن الأستاذ واجب الطلّاب في مثل هذه اللحظات. هذا يعني أنّ نهاية الحصّة زمن أيضا، وهو الزمن الحاضر الذي استخدمه الأستاذ للبرمجة.
وقد استحضر التلميذ جفاف النهر من الزمن الماضي بفعل الذاكرة، فهو لا شكّ أنّه رأى جفاف النهر بامّ عينيه في الأيّام الماضية، ثمّ سأل المدرسَ سؤاله الاستنكاريّ:
أوليس النهر جافّا؟!
وبهذا الاستحضار سعى التلميذ أن يدحض جدوى العمل الذي من المقرّر أن يتمّ إنجازه في المستقبل.
إذن الزمن الماضي قد يحضر في الزمن الحاضر، فيبطل الخطط التي تُبرمج للمستقبل.
هذا الزمن الحاضر الذي استحضر فيه التلميذُ جفاف النهر في ذاكرته، زمن شخصي جمعي جعل المدرّسَ والطلّاب في شيء من حالة الحزن لأجل نهرهم الجافّ. سؤاله خلق توتّرا في حاضر الجميع، جعل الجميع يسترجعون ماضيهم ويتذكّرون النهر عندما كان الماء يجري فيه فيسقي نخيلهم، ويطعمهم من سمكه.
كلّ هذه الاسترجاعات أثّرت سلبا على نفسيّة الحاضرين، إذن فهذا الزمن يُعتبر زمن الشخصيّة، والأجدر أن ننعته بزمن الشخصيّات ليشمل المدرّس والطلّاب. والبعض يطلق عليه الزمن الداخلي أو الاسترجاع الداخلي. (لوصيف، 2011، ص 11)

10- زمن الشخصيّة قد يطغى على المكان حنين كلّما احتسى الشاي عصرا تذكّر عرض ابتسامتها لحظة استلامه أناملها قبل الاستكانة.
يضعها جانبا، ثمّ يلتفت لصورتها في الإطار الذي اتّخذته العنكبوت بيتا. (المانع، 1396، ص 95)

في هذه القصّة التي ينقل لنا الكاتب فيها حدثا مأساويّا توجد عدّة أمكنة، المكان الذي يشرب الرجل فيه الشاي، ويرجّح أن يكون المطبخ أو صالة البيت.
هذا المكان المغلق، أمسى غير مألوف بسبب غياب المرأة عنه، ولا نعلم سبب الغياب،

ذلك لأنّ القصّة القصيرة جدّا لا تسمح للكاتب أن يدخل في التفاصيل ليبيّن للقارئ هل توفّيت المرأة، أم انفصلت عن زوجها، أم سافرت، أم ماذا؟! ثمّ هل هي زوجته أم أمّه أم صديقته؟!

لا نعلم.

ما يهمّنا كباحثين في هذا المكان أنّه تراجع بعد غياب المرأة وأمسى ملجأ للحشرات.

هذا الإطار قد يُستخدم مكانا للذكريات حيث يقعون فيه صورة تذكاريّة شخصيّة أم عائليّة، أو مكانا للزينة إن استخدمناه للوحة جميلة ونصبناه في دار الضيافة.

المكان الثاني هي الاستكانة، وتعني الإناء الزجاجي الذي يُشرب فيه الشاي (الشويكي، 1394، مادة الشاي) وهو مكان محدود جدّا يتناقل بين الأيدي لاحتساء ما يحتويه من سوائل. فهذا الظرف الزجاجي قد يحتوي على الشاي، أو الزعفران، أو اللبن.

واستخدام هذا المكان الضيّق الصغير يعني أنّ هناك مناسبة ما، أو استراحة ما، أو جلسة أحباب أو ما شابهها.

أمّا الإطار، فهذا هو المكان الذي اجتمعت فيه الأحزان والذكريات التي منعت الرجل من احتساء شايه فجعل الكوب جانبا والتفت نحوه.

وفي الإطار مكان آخر نسجته العنكبوت فأمسى بيتا لها. هذا المكان رمز للغياب والهجرة، وأنّ العنكبوت لا تتّخذ مكانا تنسج فيه بيتها إلّا بعد أن تحسّ أنّ المكان أهمل لأسباب كثيرة، منها غياب أهله.

استطاع الكاتب أن يهندس هذه الأمكنة لتتناسب مع قصّته، فجعلها متسلسلة كلّ ينتسب إلى آخر؛ فالمكان الرئيسي هو الصالة أو المطبخ، يليه الإطار وهو يقع داخل الصالة، ثمّ بيت العنكبوت وهو يقع داخل الإطار. هذه الأمكنة ثابتة، المكان الوحيد المتحرّك هو الكوب، والذي يتناقل من يد ألى أخرى كما أسلفنا، وفي حركاته وتنقله تولد حركات الشخصيّة وعلاقاتها الاجتماعيّة والعاطفيّة.

يستخدم الكاتب الزمن الماضي لحدث قصّته حيث يسترجع ذاكرة الرجل إلى زمن كان يستلم فيه كوب الشاي من فقيدته، ويختار وقت العصر بالذات، ففي هذا التوقيت تكون الشخصيّة قد أدّت واجباتها اليوميّة من عمل وواجب ودوام، وأمست لديها فرصة لتراجع ماضيها، أو تنظر إلى مستقبلها.

ففي هذا التوقيت دلالات كثيرة، ولهذا يقسم الله سبحانه بهذا التوقيت لأهمّيته حيث قال في محكم كتابه: والعصر. (العصر: 1)

واللحظة التي يتذكّرها بطل القصّة الحزينة عندما يلامس أصابع حبيبته هي زمن قصيرة جدّا، قد لا تتجاوز الثواني الطبيعيّة، لكنّ لهذا الزمن القصير أثره البليغ الذي جعل الحبيبة تبتسم ابتسامة نُقشت في ذاكرة الحبيب، وهذا الزمن القصير هو الذي جعل الرجل يسترجع الماضي ويحزن حزنا بليغا يجعله يلتفت إلى الإطار فيضع الكوب جانبا.

والكاتب كان موفّقا لاختيار هذه اللحظة القصيرة المؤثّرة ليجعل زمن الرجل يطول في حنينه وحزنه، «وأكثر ما يكون إحساسنا بالزمان في نوبات الحزن البطيئة، سواء تأتت عن ضجر ...أو همّ ...أو يأس.» (شاهين، سمير الحاج، 1980، ص 5)

وفي تقسيم الأزمنة، يختار البعض لهذه اللحظة عنوان (زمن المفهوم النفسي)؛ «فينتقل مفهوم الزمن من العالم الخارجي إلى الحياة الداخليّة للإنسان، ويشرع يدور حول المشاعر والذاكرة.» (شاهين، سحاب، 2015، ص 116).كما عمل حزين هذه القصّة عندما تذكّر ابتسامة حبيبته وتحرّكت مشاعره فوضع فنجان الشاي طرفا وامتنع من احتسائه.

وهذا الاسترجاع إلى الزمن الماضي قد يكون قريبا أو بعيدا، وليس من العجيب أن يتذكّر بعض العاشقين عشيقاتهم بعد سنوات فتجري دموع أشواقهم وحنينهم على خدودهم.

خاتمة

في هذه القصص القصيرة جدّا، لم يتوقّف الزمن ليتسنّى للوصف أن يأخذ مجالا، كان الزمن يمرّ مسرعا ليُنهي القصّة، ويمنع من تمطيطها وتمييعها.

جاءت معظم الأمكنة معبّرة عن الحرمان، فقد وظّفها الكاتب ليصوّر لنا من خلالها معاناة الفقراء، صراخ بائع الماء في الحيّ مستخدما مكبّر الصوت وبدرّاجة ناريّة صوت محرّكها يؤذي الآذان.

وهناك أمكنة بدأت صغيرة ساكنة، ثمّ نمت وأمست متحرّكة، جاء هذا النموّ في الخيط الذي تطوّر إلى سيّارة.

بعض الأمكنة جاءت مغلقة، مثل: البيت، الصفّ، كليّة النفط، لكنّها دلّت على الحرمان.

وبعضها كانت مفتوحة، مثل: السوق، الأنهر الجافّة، الجسور التي لا جدوى منها، ولم نرَ فيها رغدا ورخاء لساكنيها.

قد ذكر الكاتب مكانا مشفّرا يواكب القصص المعاصرة، هذا المكان هو الجوّال الذي نستطيع أن نشفّره برموز.

استخدم أمكنة كانت متحرّكة، لكنّها سارت في طريق لم يكن قد خُصّص لها، ما جعل الموقف غير اعتياديّ.

اضطرّ البحث أن يؤولّ بعض الأمكنة من سياق القصّة حينما اكتفى الكاتب بذكر الحدث دون ذكر المكان، ولكنّنا نعلم أنّ الأحداث تقع في المكان، ولهذا تمّ تأويل مكان النوم في إحدى القصص.

أمّا بالنسبة إلى الزمن، استخدم الكاتب الاسترجاع، فجعل الشخصيّة تتذكّر حدثا ما، ووجد في هذا الاسترجاع حلّا للمشكلة، وفي قصّة أخرى أضاف الاسترجاع إلى آلام الرجل وهو يتذكّر فقيدته بعد أن اضطرّه الحنين.

وقد استخدم الكاتب استباق الزمن حين جعل الشخص الآرقُ يصنع سيّارة من الخيط فأمست تسير في الشوارع.

جاءت بعض الأزمنة طبيعيّة، وبعضها نفسّية كتغيير سلوك المحاضر بعد إلقاء محاضرته.

في كتاب الثالثة والعشرون، معظم القصص كان حضور الأمكنة فيها طاغيا على الأزمنة، وهي التي كانت هدفا للكاتب دون سواها من عناصر النصّ.

والأفعال التي استُخدمت في القصص كانت معظمها أفعالا ماضية، لكنّها أصبحت حاضرا معاشا للقارئ وللشخصيّات.

المنابع

القرآن الكريم.
1- ابن منظور، محمد بن مكرم،لسان العرب،بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1988.
2- باديس فوغالي، دراسات في القصة والرواية، الأردن، عالم الكتب الحديث، 2009.
3- الشرتوتي، رشيد، مبادئ العربيّة، الطبعة الحادية عشرة، قم، مؤسّسة المطبوعات دار العلم، 1369 هـ ش.
4- الشويكي، عبدالأمير، موسوعة اللهجة الأهوازيّة، قم، الناشر أنوار الهدى، 1394 هـ. ش.
5- شاهين، سحاب، بنية الرواية السوريّة المعاصرة، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة البعث، سورية، 2015.
6- شاهين، سمير الحاج، لحظة الأبديّة دراسة الزمن في أدب القرن العشرين، بيروت، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، 1980.
7- عچرش، خيريّة، التجديد في الشعر العبّاسي الأوّل، إيران، قم،دار التفسير، 1390 هـ. ش.
8- عمران، علي، العناصر القصصيّة في الرواية العربيّة الحديثة، مجلّة حوليات آداب عين الشمس، المجلّة 50، جامعة عين الشمس، مصر،2022.
9- قاسم، سيزا، بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، القاهرة، مهرجان القراءة للجميع، 2004.
10- القصراوي، مها حسن، الزمن في الرواية العربيّة، بيروت، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، 2004.
11- الكردي، عبد الرحيم، السرد في الرواية المعاصرة، القاهرة، الناشر مكتبة الآداب، 2006.
12- لوصيف، بسمة، الزمكانيّة في رواية عتبات المتاهة، قسم الغة العربيّة وآدابها، كليّة الآداب والعلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة، جامعة العربي بن مهيدي، الجزائر، 2011.
13- المانع، أمير، الثالة والعشرون، الأهواز، دار نشر هرمنوطيقيا، 1396 ه. ش.
14- المتنبّي، أبو الطيّب، ديوان المتنبّي، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، 1983.
15- النيسابوري، عمر الخيام، ترجمة أحمد رامي، ص 25، www.alkottob.com.
16- سلامة، يوسف جمعة، غرس الشجر، 2013 https://www.alittihad.ae/article/15924/2013.